الفصل الثانى

النموذج الاول
التربية من أجل الاعداد للحياة الاجتماعية
من التراث التربوى المصرى القديم

الفصل الثانى
النموذج الاول
التربية من أجل الاعداد للحياة الاجتماعية
من التراث التربوى المصرى القديم

مقدمة :

يقول المؤرخون وعلى رأسهم فلندر فى كتابه تاريخ مصر History of Egypt أن المصريين آتوا من أرضيون أو من بونت ويظهر أن تلك البلاد كانت واقعة على شاطئ الجزء الجنوبى من البحر الأحمر، وأن سكانها جاءوا قديماً من الأرض المجاروة للخليج العربى .

وقد أنطلق المصريون الاقدماء اسم كيمة على أرضهم ومعناها السمرا، أو السوداء أشارة إلى سمرة تربتها الطبيعية وخصوبتها، وارتبط الاسم الشائع (مصر) فى اللغات السامية القديمة بمترادفات تدل على معانى المكان الحصين (الحاجز) والبلد المتمدين .

كما يحتمل أن أسم (Egypt) الشائع عنها فى اللغات الأجنبية قد تحرفت فى اصله عن أسم (آجبة) المصرى ويعنى (أرض الفيضان).

ولما كانت مصر أخصب بلاد العالم لجريان نهر النيل بها، وكونها محاطة بحدود طبيعية، ساعد كل ذلك على انقطاع أهلها لترفية أحوالهم وتمدينهم لذا نجدهم وقد تميزوا بكفاءة طبيعية للرئاسة، وذكاء عملى حاد بجانب تدرين عميق أساسه رهبة الآلهة .

وتقسم عصور الحضارة المصرية القديمة تقسيماً أصطلاحياً إلى ثمانى وحدات اعتبارية كبيرة تميزت كل وحدة عن الآخرى من حيث أمدها

الزمنى وطاقتها البشرية ومستوياتها الحضارية، ولكن اتصلت كل وحدة منها اتصالاً تطورياً وثيقاً بسابقتها، كما مهدت بتطوراتها للاحقتها، وتعاقبت على النحو التالى .

أولاً : عصور ما قبل التاريخ :

ويعتبر ما قبل التاريخ تعبراً زمنياً اصطلاحياً يطلق عادة على الأزمنة السخيفة التى سبقت عصور الاهتداء إلى الكتابة وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة، ويرادفه إلى حد ما تعبير (العصور الحجرية) ويقصد بها العصور التى بدأت معها حضارة الإنسان البدائى الذى استطاع أن يصنع فيه شيئاً يميزه عن قصد ورغبة ولم يستخدم معادن مصنوعة .

ثانياً : بداية العصور التاريخية :

وتسمى اصطلاحاً باسم عصر بداية الاسرات، وقد بدأ عصرها حوالى القرن (٣٢ ق . م) وامتد إلى عام (٢٧٨٠ ق . م) وامتاز تاريخياً ببداية استقرار وحدة مصر السياسية الكاملة منذ أوائله، وبمعرفة الكتابة منذ بدايته، كما يعتبر عصر التكوين بالنسبة لنظم الحكم والإدارة، وقد تعاقبت خلاله على عرش مصر الاسرتان الحاكمتان الأوليتان من الأسر الفرعونية .

ثالثاً : عصر الدولة القديمة :

وتبدأ بالأسرة الثالثة فى أوائل القرن (٢٨ ق .م) وامتدت حتى نهايته فى عصر الأسرة السادسة فى أواخر القرن (٢٣ ق .م) واتصف أغلب عهدها بالاستقرار السياسى النسبى ومركزية الحكم، وتميزت مظاهر

الحضارة فيها بالنمو الداخلى المتصل فى شئون العمارة والفنون وتنظيمات الإدارة وعقائد الأخرة.

رابعاً : عصر اللامركزية الأولى :

وهو عصر انتقال من وحدة الحكم إلى تفرق جهات الحكم، ومن الاستقرار إلى الاضطراب والفوضى، وأن انتعشت خلاله - فى الوقت نفسه - أحوال الطبقة الوسطى، ونمت فيه روح الفردية، وظهرت خلاله مبادئ سياسية وعقائد دينية متحررة، وقد امتد من نهاية عصر الأسرة حتى نهاية عصر الاسرة العاشرة فى أواسط القرن (٢١ ق.م).

خامساً : عصر الدولة الوسطى :

ويمتد من عصر الأسرة (١١) حتى نهاية الأسرة (١٢) فى أوائل القرن (١٨ ق.م) وهى عصور تميزت باستعادة مركزية الحكم ووحدة السياسة فى الداخل والخارج، مع الأبقاء على أزدهار الفردية، واتسعت مجالات التأثير والتأثر فيها بين مصر وجيرانها .

سادساً : عصر اللامركزية الثانية :

ويمتد من الأسرة (١٣) إلى الأسرة (١٧)، وأنتهى فى أوائل القرن (١٦ ق.م) وتحرير مصر وهو عصر انتقال اضطرارى من حال الوحدة إلى التفكك كما شهد غزو الهكسوس لمصر .

سابعاً : عصر الدولة الحديثة :

بدأ هذا العصر بعودة الاستقرار والاستقلال القومى ومركزية الحكم وتميز ببلوغ الذروة فى الرخاء العام وفى الفنون، واعلان الوحدانية، كما

تميزت بالأنطلاق فى مجال السياسة والتوسع الخارجى البعيد وبدأ بعصر الأسرة (١٨) حوالى عام (١٥٧٥ ق.م) وانتهى بعصر الأسرة (٢١) خلال القرن (١٠ ق.م) .

ثامناً : العصور الفرعونية المتأخرة :

بدأت مظاهرها منذ القرن (١٠ ق.م) وتذبذب النشاط المصرى خلالها بين مد وجزر فى مجال السياسة والحرب، واختلطت فيها العناصر الدخيلة وتاثرت مصر فيها بتأرجح موازين القوى بين أقطار الشرق والغرب القديمة، وابتدأت مقاليد الحكم والسياسة تنتقل إلى غيرها، بل تعرضت أرضها لأكثر من غزوة، ثم انتهت بأنتهاء الحكم القومى بعد عصر الأسرة (٣٠)، وبعد غزو الاسكندر المقدونى لمصر فى خريف عام (٣٢٣ ق . م).

العوامل والقوى الثقافية المؤثرة فى التربية المصرية القديمة :

لكى ندرك أبعاد العملية التربوية فى مصر القديمة ينبغى دراسة العوامل والقوى التى سادت مصر آنذاك، لما لها من تأثير قوى فى تشكيل نظامها التعليمى، وبالتالى التاثير فى بناء الإنسان المصرى القديم، إيماناً منا بوجود علاقات سببية صريحة من هذه العوامل والقوى وبين فلسفات التربية وتطبيقاتها، ويمكن إيجازها على النحو التالى :

أ-العوامل الجغرافية :

من المعروف أن للعوامل المناخية والطبيعية تأثيراً فى نفسيات الشعوب وملامحها ومعايشها وأخيلتها وثقافتها وتربية أجيالها، لاسيما فى عصورها التاريخية الأولى، ولقد ظلت الظروف المناخية التى سادت فى العصور التاريخية لمصر القديمة تميل إلى الجفاف فى معظم أحوالها

ووقوعها فى النطاق الصحراوى الممتد فى أغلب بقاع الشرق الأدنى من الخليج إلى المحيط غير أن جريان نهر النيل بمصر طبعها بطابع خاص من الكتابة والاستقرار، وأن يوجه معايش أهلها وجهة زراعية غالباً مترابطة منذ أصبحوا يستغلونه ويقدرون جوانب نفعه أكثر مما يتهيبون مظاهر جبروته وطغيان فيضاناته .

وقد أدت خاصية الامتداد الراسى الطويل لنهر النيل من الجنوب إلى الشمال مع ندرة فروعه الطبيعية الجانبية إلى توزيع مواطن العمران على جانبيه الطويلين توزيعاً رأسياً أكثر منه أفقياً وهى ظاهرة أدت إلى تكاثف السكان فى مناطق محدودة المساحات نسبياً، وأن كانت قد سمحت بذلك على تيسير الاتصال ووسائل النقل بين هؤلاء السكان، وترتب على ذلك الإيحاء إلى الحكام بقوة الترابط الطبيعى بين أجزاء أراضيهم، وأدى هذا إلى التبكير لظهور أول وحدة سياسية كبيرة مستقلة معروفة فى تاريخ البشرية كلها .

كما كفلت الصحراء للمصريين نصيباً كبيراً من الأمن الدولى القديم - والوحدة الجنسية النسبية، وبعض مقومات مدينتهم المادية، فقد أدى اتساعها إلى التقليل من استخدامها سبيلاً للغزو الخارجى، كما كان لوفرة معادنها أثر كبير فى أقامة أروع عمائر حجرية عرفها التاريخ، كما كان لرمالها أثر كبير فى تزكية آمال المصريين فى الخلود حين استغلوا جفافها لصيانة رفات موتاهم ومقتنيات قبورهم سليمة حتى عصرنا هذا .

وبرغم الجفاف وقلة الأمطار فإن البيئة الجغرافية كانت ذات أثر كبير فى وجدان أهلها، فهى بيئة مأمونة العواقب قليلة التقلب، ليس فيها من صراع الظواهر الطبيعية ما يوجه أهلها إلى اعتياد الصخب والعنف أو يطبعهم بطابع التمرد وتقلب الأحواء والمشاعر والعادات، ولهذا لم يكن من

الغريب أن يترتب على ما ألفه المصريون من غلبة الخير على الشر فى أحوال نبلهم ودأبهم وصحراوتهم ومناخهم بعض الأثر فى صبغ حضارتهم بصبغة طابعها الاستقرار والهدوء والاستمرار وثبات تقاليدهم وثقافتهم وصبغ انتاجهم الفنى بالبساطة ووضوح التعبير، فضلاً عن ثبات عقائدهم الدينية التى استوحوها من بيئتهم وتغليبهم طابع الرحمة فى آلهتهم على طابع العنف والنقمة، وفى تزكية آمالهم فى عالم آخر مستقر متصل بدنياهم.

ب-العوامل الدينية :

نشأت العقائد الدينية أول أمرها مستقلة، فقد كانت البلاد مقسمة إلى أمارات صغيرة قوامها تلك الأقاليم المصرية التى نشأت فى فجر التاريخ، وكان لكل أقليم معبود خاص، وكانت عقائد المصريين من وحى الطبيعة المصرية ولطبيعة الأقليم أثر فعال فى تكوين عقيدة أصحابه فالناس قد رأوا فى طبيعة الأقليم الكثير من طوائف الحيوان منها المتوحش ومنها الأليف، وعاينوا فيها ألواناً من الطير منها الجارح ومنها ما دون ذلك، وهم قد رأوا فى حياة الحيوان والطير مدرسة أخذوا منها ونقلوا عنها وتعلموا فيها كثيراً من أمور الحياة، وفى حياة الحيوان والطير من التالف والتقارب والتزاوج، ومن الحنين والحرص على البقاء والبحث عن الرزق ما يلفت النظر ويثير الاعجاب أى الناس فى أبناء الفصيلة الواحدة من حيوان أو طير نزعة إلى اللفة والقتارب وتكوين الجماعات المتحدة، تنتقل متى شاءت وإلى حيث تشاء وتستقر حيث يتطلب لها حياة الاستقرار فتعلم الناس منها مثل ذلك رأوا فيها تقرباً إلى من تحب، وصدا عما تكره وميلاً إلى ما تطنن إليه، وخوفاً مما لم تألف منه، والناس يفعلون مثل ذلك تعلموا الكراهية والحب والبر والعقوق والرحمة والقسوة والسعى والكفاح والصراع والنزال، تعلموا كل ما يتصل

بحياتهم عن فطرة ومحاكاة وتقليد، فالفطرة تدفع الحيوان إلى حفظ الذات لأنه يسعى فى سبيل النمو ومعين فى الهرب من الموت متطقاً بأسباب الحياة كما يجاهد هذا الحيوان فى الحفاظ على نوعه، فالذكر يبحث عن الأنثى ويركن إليها والأنثى تطمئن له وذلك كله بدافع الفطرة، هذا قامت الحياة إليها والأنثى تطمئن له وذلك كله بدافع الفطرة، بهذا قامت الحياة وعمر العالم حتى أخذت الأرض زخرفها وازينت للبقاء، وغدا العالم ميداناً للتنازع والتزاحم والكفاح والصراع والحروب المدمرة المعمرة فى آن واحد، ما تكاد الأرض تنتهى من آثارها وهى ستظل كذلك إلى أن يأذن الله فيبدل الأرض غير الأرض .

فالواقع الفطرى يقتدر به على عمل يوصل إلى غاية من غير سابق نظر إلى مثل تلك الغاية، ومن غير سابق تدرب على هذا العمل، والدافع الفطرى مشاع مشترك بين الحيوان الأعجم وبين الحيوان الناطق، فالطير والحيوان كلها مخلوقات سبقت الإنسان بدوافعها إلى هذا الوجود، فأخذ الإنسان عن كل أولئك فحاكاها ونقل عنها وتعلم منها .

والذى ينظر فى أصول العقيدة المصرية القديمة ونشأتها يرى أنها لن تخرج عما يدفع إلى حفظ الذات وحفظ النوع وعقيدة المر، تقوم حول دافعين : الحب والخوف، عرف الإنسان طوائف الحيوان وألوان الطير فخاف بعضها وألف الآخر وأحبه واقبل عليه، وأما من خافه فقد ابتعد عنه وحاول جاهداً فى أن يبعد نفسه عن شره وإذاء باسترضائه عن طريق تقديم الطعام والشراب له، وبذلك فدس كثيراً من الوحوش وجوارح الطير، وأما ما ألف من طير أو حيوان فقد أحبه وأقبل عليه، أحبه من أجل نفسه ومن أجل خبرة، فهو قد نظر إلى فحل البقر ورأى فيه ذلك التناقض العجيب، رأى له قوة هائلة ورأى فيه استسلاماً وحاول أن يهتدى إلى سر ذلك فلم يفلح، وإنما

أوجس ذكراه فى قرار النفس وأعماق الضمير، ثم بدأ لـه أن يـسغل ذلـك الحيوان فانتفع بقوته وباستسلامة، ورأى فى أنثى البقر مثل ذلك فقدر فيهـا الخصب والحنو والأمومة فاتخذ منها رمزاً للسما، أم الطبيعة كلها ترجمهـا بهذه المزن التى ترسل إلى الأرض وهى خامدة فإذا بلغتها اهتـزت وربـت وأنبتت من كل زوج بهيج، وتفقد الطير فرأى فيه عجباً منها ما اقترب منـه وما صد عنه ولكنها أعجبته جميعاً وأعجب منهـا بالـصقر ففيـه جمـال وكبرياء، واعجب أيضاً بابى فردان فيه هدوء ورزانة واتزان، والبحث وليد التدبير، والتدبير من العقل والعقل يعين على المعرفة والمعرفة تهـدى إلـى العلم والحكمة، فليكن لهم من هذا الطير رمزاً للحكمة والمعرفة .

لم يقدس المصريون الحيوان والطير لذاته وإنما قدروا فيه سراً مـن أسرار الخلق الرهيب وألوان من قدرة الله عز وجل، كما قدسوا أنواعاً مـن الشجر والحجر، ولم يكن تقديسهم لها عبثاً، وإنما استقر فى عقائـد النـاس يومئذ أن أرواحاً تمثل القوى الآلهية المختلفة قد آوت إلـى بعـض الـشجر والحجر .

كان العقل المصرى القديم يسير فى طريق التقدم بخطى تقرب مـن القفز ففكر فى كواكب السما، ونجومها، فى الشمس والقمر، وأما البعث فقـد كان فى الطبيعة المصرية ما يدفع الناس إلى التفكير فيه، فهذه الشمس لا تكاد تغرب إلا لتشرق من جديد، وما، النيل ما يكاد ينقص حتى يفيض من جديد، والأرض لا يكاد نباتها يحصد حتى تعود فتخرج منها فى أوانه بعد حين كل هذا دعاهم إلى التفكير فى البعث، واما الخلود فقد اعتقدوا أن كائناً آخر كان يخلق مع الإنسان عند مولده (الكا) وهو صورة ثانية منه، ثـم يقـوم علـى حمايته من وراء حجاب فإذا مات صحبته (الكا) إلى القبر حيث تؤدى عملها،

فهى تنفث الحياة فى صورة الميت وتماثيله من داخل القبر، وذلك يعين الميت على استئناف الحياة فى عالم الخلود .

ج - العوامل السياسية :

كان الفرعون منذ عصر بداية الاسرات هو رأس الدولة فولا وعملاً تتركز فى يديه السلطة العليا، وكذلك فى قصره الذى أطلق عليه اسم برعو أو برنيسو، وبلغت بسلطانه ما يمكن التعبير عنه يمثل تعبير لويس الرابع عشر ملك فرنسا فى عهد مجد الكنيسة المقدسة فيها (أنا الدولة والدولة أنا) على أن هذه السلطة الرسمية الواسعة للحاكم الأعلى لا تؤدى بالضرورة إلى الربط بين سلطانه وتسميته بالفرعون وبين الوهية ادعاها لنفسه، فلفظ فرعون لم يكن فى بدايته أكثر من لقب اصطلاحى إدارى أطلق على قصر الملك بمعنى البيت العالى أو القصر العظيم، أى قصر الحكم المركزى فى الدولة، ثم امتد مدلوله فأصبح يطلق على القصر وساكنه تماماً كما أصبح عليه الحال خلال الحكم العثمانى بعد آلاف السنين من حيث التعبير بلفظ (الباب العالى) على قصر السلطة والسلطان نفسه، بل لا يزال لفظ الصحافة حين تتحدث عن البيت الأبيض الأمريكى، أو قصر الكرملين بموسكو، فتعنى به سياسية الحاكم، ومع الزمن اعتاد المصريون على أن يطلقوا لفظ برعو على كل ملك مصرى بما يشبه لقب قيصر عند الرومان والنجاش عند الأحباش .

ويعتبر عصر بداية الاسرات عصر تكوين بالنسبة لأوضاع الحكم ونظم الإدارة، ولفظ التكوين يعنى أن العصر كان لا يزال محدود المطالب والوسائل كما يعنى أن تنظيمات العصر على الرغم من بساطتها أصبحت

أساساً لأغلب التنظيمات الكبيرة التى قامت بعدها وتطورت عنها فى العصور التالية .

اعتمد الأشراف الإدارى على بضع طوائف من كبار الموظفين منهم: حملة الاختام، ورجال بيت المال، وحكام الأقاليم، وكبار رجال البلاط ورؤساء، الكتاب والكتاب، ومما هو جدير بالذكر أن كل طائفة من هؤلاء اتخذت لها (ربة راعية) فقط كان للكتاب والمحاسبين آلهة تدعى (ستات) قيل عنها أنها كانت أول من خط وحسب كما ارتبطت القوة السياسية للدولة بقوتها الدينية، من هنا كانت قوة الكهنة، فهم حراس الدين الذى يرمز إلى القوة السياسية للدولة فتمتعوا بكافة حقوق السيطرة والتوجيه على مقدرات الدين والدنيا، وتحكموا فى سياغة الفكر عن طريق احتكارهم العلم، لذا لا غرابة إذا نشأت المدارس فى أحصان المعابد .

د-العوامل الاجتماعية :

لم تتحكم الثروة، أو نبل الميلاد فى عملية الحراك الاجتماعى Social Mobility أو الأرتقاء إلى طبقة اجتماعية أرقى كما كان معمولاً به فى الهند القديمة، وبرغم هذا فقد تميز المجتمع بالطبقية، إذ على قمة الهرم الاجتماعى الفرعونى واسرته وكبار رجال بلاطة، يليهم طبقة الكهنة، وبعض النبلاء ويمثلون الارستقراطية الفكرية والاجتماعية، يليهم طبقة القادة العسكريين ثم طبقة كبار التجار وأصحاب المهن الأثرياء ويمثلون الطبقة الوسطى، وفى قاع الهرم طبقة الفلاحين والرعاة والحرفيين والعبيد ويمثلون القاعدة .

كما احتلت المرأة منزلة مرموقة لها نفس حقوق الرجل على قدم المساواة، ونصت القوانين على حقها فى التملك والميراث، كما نصت عقود الزواج على طاعة الزوج لها، وقد ظهرت منهن آلهات فدسهن الشعب، وتولت منهن ملكات حكمن الشعب كما حثت التعاليم الخلفية الأطفال على حسن الطاعة التامة للأمهات .

هـ-العوامل الفكرية :

خلف لنا القدماء ثروة فكرية وثقافية هائلة استمدت أصولها من البيئة وعقائدهم الدينية وفلسفة الحكم لديهم، فقد كان للديانة والأدب والغناء والموسيقى أثر مرموق فى جميع عصورهم ويدلنا على عملية هذه الثروة ما عثر عليه من فنون وثقافة فرعونية فى بلاد بعيدة عن مصر مثل الساحل الشرقى للهند وجزر الملايو، كما كان للآلهة المصرية عدة معابد فى روما القديمة مثل معبد ايزيس .

عرف المصريون العلوم التى لها صلة بحياتهم العملية، بمعنى أنهم لم يدرسوا العلم من أجل العلم بل جعلوه وظيفياً فسخروه للأعداد للحياة الاجتماعية، عرفوا الفلك لإرتباطة بحساب مواعيد الفيضان والاحتفالات الدينية وعرفوا الهندسة والبنا، والطب لإرتباطها جميعاً بفكرة البعث والخلود وساعدهم فى تقدمهم الطمى أنهم ربطوا من هذه العلوم ومن الدين فقد أرجعوا اختراع العلوم إلى الآلة (توت) آله الحكمة .

ولا نعجب من ذلك إذا استأث الكهنة بالسيطرة على العقل المصرى قديماً، فقد كان الكاهن هو ذلك الكل فى واحد فهو الكاهن والعالم والفيلسوف والطبيب والفلكى والرياضى، إلا أنهم احتفظوا بأسرار علومهم لا يعلمونها

لكل راغب لخوفهم من صياغة أو تحريفه بواسطة العامة، وبرغم موقفهم هذا فقد وجهوا هذه العلوم وجهة عملية نفعية تلمس آثارها اليوم.

و-العوامل الاقتصادية :

شهدت مصر القديمة فى معلم فتراتها التاريخية نوعاً من الرخاء الاقتصادى وساعدها على ذلك موقعها المتميز وضخامة نصيبها من نهر النيل وخصوبة أرضها ووفرة أعداد سكانها مع جلدهم وصبرهم ومثابرتهم ووحدة لغتهم وندرة الفوارق الجنسية بينهم وسهولة الاتصال بين جماعاتهم وإدراكهم لأهمية وحدة بلادهم واستقرار نحلم الحكم بينهم وتوافر المواد الأولية بأرضهم وحصانة حدودهم حصانة طبيعية نسبية بالرغم من امتدادها.

عرف المصريون الزراعة والصناعة وعملوا بالتجارة وعكست حياتهم الاقتصادية آثارها على حياتهم الاجتماعية فساد الاستقرار والاستمتاع بحياتهم وانتشرت حفلات الطرب والرقص، كما عكست الحياة الاقتصادية آثارها على الفن المعمارى، كما انعكست الحياة الاقتصادية على النواحى التشريعية والقانونية التى حمت البلاد من عبث العابثين وعرفت الإنسان بحقوقه وواجباته الأمر الذى أدى إلى رفاهية الفرد وبالتالى رفاهية المجتمع.

تربية الإنسان المصرى القديم :

قبل ظهور المدرسة، قامت الأسرة بدور (الوكيل التربوى) فدربت النش، على العرق والتقاليد المقبولة وجعل الفرد جزءاً أساسياً من الوطن المصرى مع احداث التوافق والانسجام بين الفرد والبيئة عن طريق المحاكاة والتقليد .

وتطلب التطور الحضارى والتعلم فى مختلف الفنون تدريباً خاصاً إذ لم يكن من الممكن تعلمها عقوباً، بذلك ظهرت الحاجة إلى تعليم منتظم، وبذلك ظهرت المدرسة تحت إشراف الكهنة والكتاب المدنيين متصلة بالمعابد والمصالح والدواوين واقبل عليها الطلاب لاكتساب الخبرات والمعارف خاصة فى مجال الصناعة .

هدفت التربية الاعداد للحياة الاجتماعية من خلال الاهتمام بتنمية القيم والمثل العليا فى نفوس الناشئة وأهمها احترام النظام الاجتماعى القائم والتمسك بالفصيلة والالتزام بالسلوك الاجتماعى كما هدفت للأعداد للمهنة سواء، كانت مهنة الكاتب أو الكاهن أو القصاص، كما هدفت إلى الاعداد الثقافى عن طريق تعليم اللغة وآدابها والمعلومات العامة والرياضيات والرسم والخط .

لقد كان من أوضح أهداف التربية أن يكفل نجاح الفرد فى مجتمعه وتكفل فى الوقت ذاته رضا المجتمع عنه، وقد تجمعت عدة دوافع من شأنها حظت المصرى القديم يقبل على التعليم ومن أهم هذه الدوافع :

- دافع الانخراط فى سلك الهيئة الحاكمة : وهى أكثر الدوافع شيوعاً وقد تطلع أصحابه إلى التعليم وكأنه يميز فى أمتهم على وحدتها بين فريقين الحكام وهم المتعلمون الذين عرفوا الكتب والكتابة فتفتحت لهم تبعاً لذلك أبواب الإدارة واستطاعوا أن يسهموا فيها بنصيب من النفوذ والتنفيذ، والمحكومين وهم الذين حرموا من العلم وبالتالى من الاشتراك فى تصريف شئون بلادهم .

- دافع اكتساب نصيب من العلم الدينى: أهتم المصريون أكثر من غيرهم بالدين والآخرة ويتضح أثر هذا الاهتمام فى أقبال بعض طوائف المصريين على التعليم من الحقائق التالية : أن اهتمام الشعب وفراعنته بالأرباب العديدين وطقوسهم قد ساعد على تكوين طوائف كثيرة من كهنة المعابد، وهؤلاء كان لأبد وأن يطرقوا سبيل التعليم للقام بأعمالهم، وأن يوجهوا أبناءهم إلى التعليم رغبة فى أن يخلفوهم فى مناصبهم، بجانب اعتقاد المصريين بما يمكن أن تسهم به النصوص الدينية المكتوبة فى تحقيق السعادة لأصحابها فى آخرتهم، وساعد ذلك على تكوين طائفة أخرى من المتعلمين أو أنصاف المتعلمين لكتابة ونقش هذه النصوص على جدران المعابد والمقابر والتوابيت وصفحات البردى، بالإضافة إلى اعتقاد المصريين بأن آلهتهم وضعت أصول العلم، وكان من آثار هذا الاعتقاد ضرورة التزود بالعلم كنوع من لاعبادة فى الدنيا وقربانا يتقرب الناس به إلى الآلهة فى آخرتهم، فكان الداعى إلى الدراسة يعتبر نفسه داعياً إلى أقوال الرب، وكان المنصرف عنها يعتبر منصرفاً عن أقوال الرب، وهكذا فتحت المعتقدات الدينية عدة أبواب للتعلم فصدها فريق من الناس ابتغاء كسب الرزق وقصدها فريق آخر أرضاء للآلهة وضماناً للسعادة فى الآخرة .

كما أن دافع التعلم تقديراً للعلم كان خطة قليلاً لقلة أصحابه فالقصص القديمة تشير إلى قلة من الناس سموا إلى العلم بوحى أنفسهم لارغبة فى تولى وطبقة أو كسب معاش، ومن هؤلاء الأمير حور درف بن الملك خوفو.

وقد أشار بعض المتون إلى ما يحتمل من اسهام الآباء المتفقين فى تثقيف أبنائهم بهدف أن يخلف الولد أباه فى منصبه، كما أشارت هذه المتون إلى أن مصر شهدت عدة مراحل تعليمية وتثقيفية مبنية على النحو التالى :

مرحلة تعليمية أولية:

ويتلقاها العاقل فى مدرسة متواضعة ملحقة بأحد المعابد أو فى أحد الأمكنة التى يخصصها المعلم، ومدة الدراسة بها أربع سنوات يتعلم الطفل فيها مبادئ القراءة والكتابة والحساب وبعض المختارات الأدبية والدينية، ولم تشر المصادر الالتحاق بهذه المرحلة وأن حددها البعض بسن الخامسة أو الرابعة، وبعد الأنتهاء من هذه المرحلة يتجه الخريج إلى مرحلة أعلى أو يكتفى بما حصله ليصير واحدا من صغار الكتبة العاديين فى دور الحكومة أو الأسواق أو مزارع الأغنياء .

المرحلة الثانوية :

ويلتحق بها التلميذ فى سن العاشرة تقريباً ويضم المدرسة من كافة الطبقات، والتعليم فيها له صفة مدنية وفيها يدرس أدب الرسائل كتابة وقراءة والرياضيات والدراسة فيها بمصروف يدفعها أولياء أمور التلاميذ .

مرحلة تطبيقية فى الإدارات الحكومية : وقد توفر هذا النوع من التعليم للغير قادرين مالياً، فمن التحق بإدارة حكومية كان بأمكانه أكمال تعليمية على ايدى رؤسائه مما ساعد على تعدد فرص التعليم للراغبين فيه .

مرحلة تعليمية عالية فى دور الحياة برعنخ : ويرى بعض الباحثين فى هذه الدور نوعاً من الدراسة العليا أو الجماعات، وقد وجدت فى العواصم الهامة مثل (أون، عين شمس الحالية، وسايس وقفط وطيبة ومنف وبوبسطة

والعمارنة) وكانت الشئون الدينية أهم ما يقدمه دور الحياة وأهم ما يقصد رجالها من أجله، ففيها كانت تنسخ حوليات الآلهة وفيها اهتمام بالسحر وفنونه والطب والفلك والفلاحة والقانون والإدارة والنقش ودليل أهمية هذا النوع التعليمى أنه كان يتحتم على من يرشح لوظيفة كتابية أو كهنوتية أن يقضى بدور الحياة فترة للدراسة قبل تسلمه عمله .

التربية والتثقيف فى قصور الفراعنة :

وكان الهدف من هذه التربية بث الولاء للحاكم وتزويد بلاطة بالاتباع الاكفاء المخلصين ويعتمد التعليم أساساً فيها على الثقافة الأدبية أو ثقافة الكاتب، وعلى التأدب بأداب اللياقة وتقاليد القصور مع الاهتمام بالتربية العسكرية خاصة ركوب العجلات الحديثة ودروس الرماية والفروسية .

التعليم الدينى :

كان التعلم الكهنوتى فردياً فى بعض الأحوال حيث يقوم الآباء بتعليم البناء، فنون الكهانة لكى يخلفونهم فى مناصبهم كما كان على الدارس الملتحق بمدرسة المعبد أن يؤدى امتحاناً فى الأمور الدينية والخط وتمكنه من الكتب المقدسة، وفى أثناء دراسته يتحتم عليه الألمام بالمعارف الكهنوتية المتمثلة فى معرفة أسماء الالهة والتراتيل وقصص الآلهة والأعياد والطقوس الدينية وما يتصل بأمر الآخرة وشيئاً عن الفلك والسحر والتنجيم .

التعليم الحرفى :

توارثت الأسرة الواحدة مهنتها، فخلف الأبناء الآباء فى وظائفهم، ويتم تعلمهم عن طريق الممارسة والتدريب أو ما يعرف اليوم باسم التلمذة الصناعية .

تعليم الأناث :

إذا تجاوزنا عن الملكات اللاتى بلغن العرش فى مصر وهؤلاء احتمال أخذهن من العلم بنصيب احتمال كبير، وما نسب إلى الآلهات من علم ومعرفة فإنه يمكن القول بأنه لم يكن هناك حائل مفروض حول الأناث يحول دون تعلمهن، ويكفى دليلاً على ذلك أن من النساء من تولين وظائف فى القصور الملكية وفى مطالب الكهانة فى المعابد كما عملن كاتبات وفاصيات.

اتبع المعلمون طرقاً مختلفة فى التدريس منها ما يعتمد على التكرار ومنها ما يعتمد على الممارسة والمحاكاة، شجعوا عملية الحفظ والاستظهار وقد كان محتماً على كل معلم أن يكون ملماً بماداته بما يمكنه من تبسيطها وتقديمها لتلاميذه واضحة وسهلة، كما فهم بعض المعلمين أن مهنة التعليم تمده بالمتعة، فتجاوب مع تلاميذه على أساس الحب، وكان من أثر ذلك أن انعقدت روح المودة بين المعلم وتلاميذه واستغلوا التربية كتوجيه وارشاد دون ارغام أو اكراه، والقليل الذى لجأ إلى استخدام العصا فى انزال العقوبات بتلاميذه، بينما كان يحلو لبعض عجائز المعلمين استخدام العصا ولهم فى ذلك قول مأثور (أذنا الصبى على ظهر وهو يسمع حين يضرب به) ومعنى ذلك أن السمع والطاعة من جانب التلميذ بعد ضربه كفيل بأداء واجباته المنوطة به .

وقد فكر المصريون فى تعلم الامتحانات ومنح الدبلومات وكان ذلك حين اكتشف الكاتب (هورى) عجز أحد معاونيه فنجده يقترح نظاما للامتحان، ومن أمثلة الأسئلة ما يلى:

- كم طوبة تلزم لبناء رصيف ذى ابعاد معلومة ؟
- وكم رجلاً يلزمون لنقل مسلة ؟
- وكيف يقام تمثال كبير ؟

لم يستمر الأمور بالمصريين، إذ بدأ ركب الحضارة ينحسر بدخول الأجانب مصر واستيطانها مما زاد من نفوذهم وأنهار الصرح الاقتصادى، وشجع ذلك فميز الفارسى على غزو البلاد عام ٥٢٥ ق . م ثم من بعده الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق.م وبدأ عصر السيادة الأغريقية يفرض نفسه على مصر والمصريين .

الفصل الثانى

النموذج الثانى
التربية من اجل توفير الاستقلال السياسى للدولة
من التراث الاسيرطى

الفصل الثانى
النموذج الثانى
التربية من اجل توفير الاستقلال السياسى للدولة
من التراث الاسبرطى

مقدمة:

العوامل المؤثرة فى نظام التعليم الاسبراطى:

هناك ثلاث عوامل أثرت فى نظام التعليم الاسبراطى وهى :

١- الموقع الجغرافى : كانت اسبرطة تقع فى منطقة جبلية يحيط بها الأعداء من كافة الجوانب مما ألزم ساستها بالاهتمام بالتربية الجسمية.

٢- النظام الاجتماعى : فقد انقسم المجتمع الاسبرطى إلى ثلاث طبقات هى : طبقة السادة الاسبرطيين وطبقة وسطى Periacol وطبقة العبيد Hetols وقد حكم السادة وسخروا أفراد الطبقتين الأخريين فى خدمتهم والقيام بجمع الأعمال اليدوية والشاقة فى الدولة مما أدى إلى شخطهم وإيجاد حالة من عدم الاستقرار داخل البلاد .

٣- العلاقات الخارجية : فرضت اسبرطة على العشائر القريبة منها سلطانها وحطت منهم الضرائب وقد أدى ذلك إلى كثرة الثورات الداخلية واستلزم الأمر السيطرة على هذه العشائر واعتقد الاسبرطيون فى أن الجسم القوى ينتج عن الاهتمام بالتربية الجسمية منذ ولادة الطفل، فكانوا يغسلون المولود بالماء المخلوط بالنبيذ لاعتقادهم أن الأقوياء الأصحا، هم الذين يتحملون ذلك الاستحمام وأن المرضى يموتون منه بعد ذلك، وقيل أيضاً فى هذا الصدد أن مجلس الشيوخ كان يقرر ما إذا كان الطفل سيعيش أم تكتب له الوفاة بتركة عارياً

على قمة جبل حتى الصباح، فإذا أصبح عليه الصباح وهو سليم قدرت له الحياة وإذا تأثر وانتكس راح فى عداد الأموات، والدولة والدولة فى ذلك سعيدة لأنها ليست بحاجة إلى هؤلاء الضعفاء فاستقلالها السياسى أهم بكثير من كل ذلك .

تربية الإنسان الاسبرطى القديم :

يعتبر الطفل ملكاً لأمة حتى السابعة من عمره، وفى العصور الأولى كانت الأمم تربى ابنها بنفسها، لكن بعد الحروب الفارسية عام ٤٧٩ق.م وكلت أغلب الأسر أمر تربية أطفالها إلى المرضعات والمربيات، وكان الطفل يتعود بالصوم وعدم الخوف وذلك بتركه وحيداً فى الظلام، وبعد سن السابعة كان الطفل يودع لدى موظف حكومى مسئول عن تربيته، وكانت مصاريف التعليم تأتى من إيراد الحكومة ومن بعض الضرائب، والهدف من تلك التربية غرس روح المساواة بين كل الأفراد وبث حب الوطن والأنتماء له فى نفوس النش، لذلك كان الأطفال ينامون فى حجرة واحدة ويلعبون فى ملاعب واحدة، ويتعلمون فى مكان واحد ويستثنى من هؤلاء ولى عهد المملكة، كما لم يسمح للأسبراطى بالتعلم فى البلاد الأجنبية، وعند التحاق الطفل بالمدرسة يضم إلى فرقة صغيرة تابعة لفرقة كبيرة يرأسها أقوى الأطفال جسماً وأكثرهم نشاطاً، وكان هؤلاء مسئولون عن الأفراد الذين يظهر عليهم أقل علامات الضعف الجسدى، كان له الحق فى معاقبة من يخالف أوامره .

هدفت التربية الأسبراطية إلى توفير الكفاية الذاتية من الناحية الاقتصادية والاجتماعية وتوفير الاستقلال السياسى للدولة كما كانت تهدف

إلى تزويد كل فرد بقدر من الكمال الجسمانى والشجاعة وغرس عادة الطاعة العمياء للقانون بحيث يصبح الفرد جندياً مثالياً لا يبارى فى شجاعته وقوة احتماله وضبط النفس والتقشف .

كانت الفصول الأسبراطية مقسمة حسب الأعمار على النحو التالى :

- فصول تضم الأطفال من سن ٧ -١٢ سنة .
- فصول تضم الأطفال من سن ١٣-١٥ سنة .
- فصول تضم من كانت أعمارهم بين سن ١٦ - ١٨ سنة .
- فصول تضم من كانت أعمارهم بين سن ١٩ - ٣٠ سنة .

وعند التحاق الدارسين بالمدرسة كان يقص شعورهم وكانت فراشهم القش ولا غطاء لهم، وعندما يبلغ التلميذ سن الخامسة عشر كان يفترض الأعشاب التى يخلف بجمعها دون استعمال سكين، كما لم يسمح له بلبس الحذاء كما كان لباسه خفيفاً قصيراً ولتعويد التلاميذ الصبر على الجوع فى الحروب كان غذاؤهم قليلاً جداً ولتمرينهم على اللحاق بالعدو وكسب مؤنتهم أثناء الحروب تمسح لهم بسرقة المأكولات بشرط ألا يصبطوا وهم متلبسون بالجريمة فمن قبض عليه يضرب بالسياط، وكان الذئب فى ذلك فلة الحزم والتدبير، وكان فى اعتبارهم عار القبض أشد بكثير من ألم الضرب لأن الضرب واسطة فى تعويد الجسم الخشونة، وكثيراً ما كان التلاميذ يخضعون لما يسمونه (امتحان الضرب) وكان يعقد مرة فى السنة فيضرب الأولاد حتى يتدفق الدم من جسدهم، وكل ذلك وآباؤهم بجانبهم يشجعونهم على تحمل الالام بسجاعة وطيب خاطر، وكثيراً ما كان الأولاد يفصلون الموت أثر الآلم على أن يبثوا شكواهم إلى آبائهم، ولذلك كان يخلد ذاكرهم بعمل تماثيل لهم على نفقة الدولة .

كانت الألعاب الرياضية تمثل الأساس فى التربية، ولم يقصد من تلك الألعاب جمال الجسم، أو اكتساب المهارة، بل القصد منها إعداد الرجل لميدان القتال، فكانوا يزاولونها قبل الغذاء، وقبل العشاء وهم عراة وتشمل الجرى والقفز وركوب الخيل والسباحة وقذف الأثقال والرقص على الأنغام الموسيقى العسكرية .

واقتصرت التربية العقلية على الأشعار والغناء، وكانت كلها تمدح الأبطال الذين ماتوا من أجل الوطن وتذم الجبناء الذين تنحوا عن الأداء الواجب المقدس .

ولم تكن للقراءة والكتابة نصيب وافر فى التربية الأسبرطية إذ أنهم لم يعدوها من الضروريات لكن لم يمنعهم من تعلمها، لذلك لا نعجب إذا انتشرت الأمية بينهم، واقتصرت آدابهم اللغوية على مدح الآلهة والأبطال وقد حفظوها هى ومؤلفات هوميروس عن ظهر قلب، على أن أغلبهم كان أمياً، ولم يسمح الأسبرطيون بدخول العلوم الأخرى ماعدا الحساب لحاجتهم إليه فى حياتهم المعيشية .

وعند بلوغ الإنسان الاسبرطى الثامنة عشرة من عمره يترك المدرسة فيتبناه رجل ويربيه تربية ملائمة ويكون قدوة له فى كل شئ وقد يعاقب الرجل من أجل الأخطاء التى يأتيها الشباب، ومن سن العشرين يعود هذا الشاب إلى المدرسة وهى التكنات العسكرية حتى يبلغ الثلاثين فيؤدى فيها التمارين الرياضية وبعدها ينتظم فى سلك رجال الحرب ومن يمتاز منهم بالسرعة كان ينضم لفرقة الثلاثمائة المرافقة لشخص الملك فى الحرب.

تعهد كل اسبرطى أن يورد للدولة شهرياً كمية معينة من القمح وثمان لترات نبيذ وخمسة أرطال جبن ورطلين ونصف من التبن وقليل من الدراهم لشراء ما يلزم من لهم أو سمك وأن يرسل ايضاً بعضاً من صيده، كان كل خمسة عشراً سبر طبياً يكونوا مما ورده مائدة وكانت هذه العادة تسرى على الملوك والرعية دون تفرقة وكان الأطفال يحصرون هذه الموائد لتعليم آداب الحديث وسماع شئ عن السياسة . وبعد العشاء يقصدون منازلهم دون أن ينيروا مصابيح ليتعودوا على السير زمن الحرب فى الظلام .

كان كل رجل يتمتع بالحقوق المدنية مسئولا عن رتبية صغار مواطنيه وعلى ذلك كان له الحق فى معاقبة المذنب بالتوبيخ والضرب، والشاب الذى يأبى العقاب يكون موضع احتقار الجميع ويضاعف له الجزاء.

وتربية المرأة كانت تضمن لها القوة حتى تنجب أقوى الرجال لذا تضمن منهج تربيتها الرقص والجرى والمصارعة والوثب وقذف الأثقال والرماية والسير على ساق واحدة كما كانت الفتاة تتشبه بالفتى فترتدى ردا، من الصوف أطول قليلاً من ردا، الصبى إلا أنه مشقوق من الجانبين ليعطيها حرية الحركة عند اللعب، وتمتعت المرأة بمنزلة مساوية للرجل فلها الحق فى مناقشته فى الأمور الاجتماعية والسياسية والدينية وكا الناس يحترمون رأى المرأة ويهابون توبيخها ويسعون للحصول على رضائها . لذا كان كل فرد يعمل ما من شأنه أن يدفع قدره لدى والدته أو زوجته .

تمتعم الأسبرطى بالوفاء والشجاعة والحزم والرزانة والصبر والقسوة والخشونة، كما صحى بنفسه من أجل وطنه . وهذه الفضائل كانت فضائل رسمية البسته الحكومة أياها وتوعدته بالعقاب لو هو تخلى عنها . ولم يتضمن تربية الإنسان الاسبرطى هدف تكوين الشخصية المتكاملة . لذا

لا نعجب إذا رأيناه متراخياً شهوانيا إذا سنحت له الفرصة لأن فضائله هـذه كانت مفروضة عليه .

وحين انتصرت اسبرطة على أثينـا فـى الحـروب البلوبونيزيـة (٤٣١-٤٠٤ق . م) وتولت قيادة شعب اليونان لم يستمر ذلك طويلاً إذ كان ينقص ساستها وأفرادها المرونة العقلية التى لا يتأتى فهم النوع الإنسانى إلا بواسطتها .

وضحت الدولة بالفرد من أجل نفسها، فعندا كان لزاما على الفرد أن يفكر لنفسه عجز تماما عن ذلك التفكير، وعنـدما انتهـى الأمـر بـضعف أسبرطة بعد حروبها الطويلة ظهر معدن الإنسان الاسبرطى الحقيقى فاسـتبد قويهم بضعيفهم وأنغمسوا فى الجشع وظهر فشل التربيـة العـسكرية التـى اتبعوها .

وكان من نتيجة خضوعهم الأعمى للقوانين أن سادت حياتهم حالـة من الجمود الشديد وجذب التراث الفكرى وانهارت حرية الـرأى وانعـدمت قدرتهم على التكيف فى مواجهة المتغيرات .